

الوافي في الوفيات

سعدون المجنون يقال إنَّ اسمه سعيد وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون . من أهل البصرة
كَانَ من عقلاء المجانين وحكمائهم لَهُ أخبار ملاح وكلام سديد ونَظْم ونَثْر يُسْتَحْسَنُ
. وطوَّف البلاد ودُوَّت أخبارُهُ . استقدمه المتوكِّل وسمع كلامه وذكر الفتح بن شخرف أَنَّهُ
كَانَ من الالمحبِّين صام ستِّين سنةً فَجَفَّ دماغه فسمَّاه الناس مجنوناً . قال عطاء
السليمي : احتبس علينا القط بالبصرة فخرجنا نستسقي فإذا بسعدون المجنون فلمَّا بصُرَّ
بي قال : يَا عطاء إلى أين ؟ قلتُ : خرجنا نستسقي ! .

قال : بقلوب سماويَّةٍ أم بقلوبٍ أرضيَّةٍ ؟ قلتُ : بقلوب سماويَّةٍ ! .
قال : لا تبهرج فإنَّ الناقد بصير قلتُ مَا هو إلَّا مَا حكيتُ لك فاستسق لَنَدَا ! .
فرفع رأسَهُ إلى السماء وقال : أقسمْتُ عَلاَيكَ إِلَّا سقيتَنَا الغيث ! .
ثُمَّ أَنشَأ يقول من الوافر : .

أيا مَنْ كَلَّمَا نُودِي أجابا ... وضمَّن بخَلَالِهِ يُنْشِي السَّحَابا .
ويا مَنْ كَلَّمَا الصِّدِّيقَ مُوسَى ... كَلَاماً ثُمَّ أَلْهَمَهُ الصَّوَاب .
ويا مَنْ رَدَّ يوسُفَ بَعْدَ ضَرِّ ... عَلَاي من كانَ يَنْتَحِبُ انتَحَابا .
ويا مَنْ خَصَّ أَحمد واصْطَفَاهُ ... وأعْطَاهُ الرِّسَالَةَ والكِتَابا .
إِسْقِنَا ! .

فأرسلت السماءُ شأبيبَ كأفواه القِرْبِ قلتُ : زدني ! .
قال : لَيْسَ ذا الكيل من ذا البيدر ثُمَّ أَنشَأ يقول من المنسرَح : .
سُبْحان مَنْ لَمْ تَنْزَلْ لَهُ حُجَجٌ ... قامَتْ عَلَيَّ خَلْقُهُ بِمَعْرِ فَتَنِهِ .
قَدِّعَلِمُوا أَنَّهُ مَلِيكُهُمْ ... يَعْجِزُ وَصَفُ الأَنامِ عَن صِفَتِهِ .
وقال عطاء : رأيتُ سعدون يتفلى ذات يوم في الشمس فانكشفتْ عورتُهُ فقلتُ لَهُ :
استر يا أبا الجهل : فقال : من لَكَ مثلها ؟ فاستتر . ثُمَّ مرَّ بي يوماً وأنا آكل
رمَّاناً في السوق فعرك أذني وقال من الطويل : .

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ ... وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ هو فِيهِ .
ومَا خَيْرُ مَنْ تَخَتَّفَى عَلايِهِ عِيُوبُهُ ... وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ السَّادِي
لأَخِيهِ .

وَكَيْفَ أَرَى عَيْباً وَعَيْبِي طاهرٌ ... وَمَا يَعْرِفُ السُّوءَاتِ غَيْرُ سَيفِهِ .
وقال عبد الله بن سويد : رأيتُ سعدون المجنون وبيده فحمة وهو يكتب بِهَا عَلَاي جدار قصر

خراب من السريع : .

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهِ ... إِنَّ لَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَلِيلٌ .
مَا أَقْبَحَ الدُّنْيَا لَخُطَايَاهَا ... تَقْتُلُهُمْ عَمْدًا قَتِيلًا قَتِيلٌ .
نَسْتَنْكِحُ الْبَعْلَ وَقَدْ وَطَّئْتِ ... فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ الْبَدِيلُ .
إِنِّي لَمُغْتَرٌّ وَإِنَّ الْبَلَى ... تَعْمَلُ فِي نَفْسِي قَلِيلًا قَلِيلٌ .
تَزَوَّدُوا لِلْمَوْتِ زَادًا فَقَدْ ... نَادَى مُنَادِيهِ الرَّحِيلَ الرَّحِيلُ .
وقال الفتح بن سالم : كَانَ سعدون سيّاحاً لهجاً بالقول فرأيته يوماً بالفسطاط قائماً
على حلقة ذي النون وهو يقول : يَا ذا النون متى يكون القلب أميراً بعد أن كان
أسيراً ؟ فقال ذو النون : إذا اطّلع على الضمير ولَمْ يضر في الضمير إلا الخير
قال : فصرخ سعدون وخر مغشياً عليه ثم أفاق فقال من الطويل :
ولا خير في شكوى إلى غير مُشْتَكى ... ولا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ
صَدِيقٌ .

ثم قال : استغفر الله لا حول ولا قوة إلا بالله ! .
ثم قال : يَا أبا الفيض إن من القلوب قلوباً تستغفر قبل أن تذيب ؟ قال : نعم
تلوك قلوب تُثَابِقِلُ أَنْ تَطِيعَ أَوْلَئِكَ قَوْمَ أَشْرَقَتْ قُلُوبُهُمْ بِرَضِيَاءِ رَوْحِ الْيَقِينِ .
سعدون بن إسماعيل بن غُبَيْرَة .
من مولدي العجم بوادي الحجارة من الغرب جلّ قدره فيها إلى أن استولى عليها
وعصى على المأمون بن ذي النون ملك طليطلة . قال الحجاري : وَكَانَ ابْنُ مَيْعَدَةَ مِنْ بَلَدِهِ
يَحْسُدُهُ وَيُغَرِّي بِهِ الْمَأْمُونَ فَأَخْرَجَهُ فَفَرَّ إِلَى طَلِيطَلَةَ لِلْمَأْمُونَ فَكَتَبَ ابْنُ غُبَيْرَة
لِلْمَأْمُونَ مُعَرِّضاً بِمَعَاذَتِهِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَافِرِ :
أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عِنْدِي مَقَالًا ... إِلَى الْمَأْمُونَ وَالذَّبِّ الْمُدَاجِي